مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02/ المجلد 12 ع 02
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

دنيوية إدوارد سعيد: قراءة شارحة

Edward Said's Worldliness: A reading of the Term

صبرينة شناف * Sabrina Chennaf sabrina.chennaf@univ-batna.dz	فلسفة	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة باتنة1/ الجزائر

DOI: 10.46315/1714-012-002-005

الإرسال: 2022/10/05 القبول: 2023/01/08 النشر: 2023/06/16

ملخص: تستهدف هذه القراءة أن تعرّف بالرؤية المعرفية النقدية التي يتبناها الخطاب النقدي لإدوارد سعيد (1935-2003)، والتي تصرّح بنوع من الوعي النقدي الذي ناضل من أجل ايقاظه لدى النقاد والمثقفين ضمن تجاربهم النصية قراءة ونقدا و إنتاجا. وبالتالي، تحاول هذه القراءة أن تستكشف الملامح الكبرى في استراتيجية إدوارد سعيد النقدية، والتي تروم استدراك مثالب النزعات النصية في النظرية الأدبية والنقدية في سبعينيات القرن الماضي في تعارضها مع تاريخانية النص وتكريسها لشكلانيتة التي وسمت المناهج النقدية المعاصرة كالبنيوية وما بعد البنيوية والتفكيكية التي دخل أصحابها في تيه النصية والأدبية، بدعوى استقلالية النظرية والعمل الأدبي عن السياقات الثقافية الدنيوية. يصرّ إدوارد سعيد على أن البديل عنها هو النقد الدنيوي الذي يدرج النصوص ضمن اشتراطاتها التاريخية والثقافية والسياسية المادية، ويجعل من دنيويتها جزءًا من نصيّتها وبنيتها .

كلمات مفتاحية: الدنيوية؛ النقد الدنيوي؛ الوعي النقدي؛ الاحترافية .

Abstract:

This reading aims at introducing Edward Said's critical cognitive view which expresses a kind of critical consciousness who struggled to wake up critics and intellectuals in their textual experiences. Subsequently، this reading is trying to explore the major features in Said's strategy of criticism which one of its targets is to correct the shortcomings of textual tendencies within the literary and critical theory contrasted with text historicity and confirmation of its formality that characterized contemporary critical methods such as structuralism post-structuralism and deconstructionism that got lost in literary and textual labyrinth، claiming the independence of theory and literary work from worldly cultural contexts. Said insists that secular criticism is the alternative which includes texts within their material cultural historical requirements، and makes its worldliness part of its textuality and structure.

keywords: Worldliness ; Critical criticism ; Critical consciousness ; Professionalism.

* - الباحث المُرسل: fgtguy@gmail.com

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

1- مقدمة:

تبحث هذه القراءة، المندرجة ضمن حقل النقد الثقافي والدراسات الثقافية، الرؤية المعرفية النقدية التي ينطلق منها إدوارد سعيد في تجربته النصية ضمن مشروعه النقدي، الذي أسس له عبر مدوّنته النقدية الضخمة. وقد ناضل من أجل تطوير قراءة نقدية للنصوص الأدبية والثقافية كتابة ورواية وشعرا، تشكّلت وفقا لوعي نقدي مقاوم صقلته تجربة المنفى والاقتلاع. لذا، نحاول أن نقف على أهم مكوّنات رؤيته ومفاصلها الرئيسة، من خلال رصدنا لموقفه إزاء النصوص، وإزاء النشاط النقدي بصفة عامة. كما سنحيل إلى الكيفية التي عبرها كشف عن التعالق والتشابك والتورط الرهيب بين السلطة والمعرفة.

فالإشكالية المحورية في هذه القراءة والتي حاولنا مقاربتها ومناقشتها هي:

ما الدنيوية من منظور إدوارد سعيد؟ وكيف تشكّلت الرؤية النقدية الدنيوية لديه؟

ثم كيف أسس لوعي نقدي مقاوم ومعارض للنزعات النصية ولنزعات التخصص والاحترافية؟

2- المنهج

انتهجنا في تقديم هذه القراءة الدراسة التحليلية، وشيئًا من المقاربة السِّيرية، في عرض أهم التحولات في مسيرة إدوارد سعيد، والتي كان لها دور بارز في تكوينية رؤيته المعرفية النقدية، عبر عرض وتحليل أهم عناصرها المقومة والمكوّنة لها. وقصدنا أن نختبر العلاقة بين مسيرته الحياتية ورحلته النقدية. وبناءً على ذلك، حاولت القراءة الكشف عن الاستراتيجية النقدية لإدوارد سعيد عبر تتبع الطريقة التي شكّل وطوّر بها وعيه النقدي المتشبّع بالدنيوية والإنسانية، والنابع من موقف علماني في تجربته النصية وضمن ممارسته للنقد الثقافي في مساءلته للإنتاجات البشرية النصية والخطابية.

3- النتائج:

- يمكننا القول أن هوية إدوارد سعيد قد تكوّنت ضمن فضاء سياسي متوتر إلى أبعد الحدود. فتجربته مع فلسطين كتاريخ وكقضية ونضال انعكست على تجربته النقدية وشكّلت مرجعية كبرى في تكوينية رؤيته المعرفية النقدية.
- انتقل ادوارد سعيد بمفهوم النص من النزعات النصية الانعزالية عن العالم إلى عالم الدنيوية الرحب، فقد أسس لربط النص بسياقاته الثقافية الدنيوية متجاوزا الشكلانية والتفكيكية التي وسمت المناهج النقدية المعاصرة.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

- الوعي النقدي هو ادراك للمسافة النقدية ولفكرة المقاومة إزاء انتماءات المثقف وايديولوجيته، وإزاء الثقافة المهيمنة، وكل أشكال المطلقيات النظرية. وبالتالي، امتلاك المقدرة على الاندماج في سياقات ثقافية جديدة بشكل ديناميكي وفعال.
- رؤية إدوارد سعيد النقدية الدنيوية تتأتى من إيمانه بالترابط العضوي بين الحقول والممارسات الإنسانية المختلفة. لذا، فهو يحترس من خطر التخصص أو ما يدعى بالاحترافية بمعناها الأكاديمي المهني وما تستدعيه من تضييق وتقييد لحرية الناقد في النقد والمعارضة.
- دنيوية إدوارد سعيد تمدّنا بآفاق لفهم دور المثقف في المجتمع المعاصر، وكذا وظيفة النقد الإنسانية وأنها كموقف نقدي تساؤلي.

1- إدوارد سعيد ومسارات التحول الدنيوي:

إدوارد سعيد مفكر وناقد إنساني معاصر للثقافة الغربية، وواحد من أهم وأكثر المثقفين جدلا في العالم، داخل الحقل الأكاديمي وخارجه. يعدّ صاحب فضل كبير عندما يتعلق الأمر بحقل الدراسات الثقافية وما بعد الكولونيالية.. فمواقفه النقدية الصارمة ورؤيته المعرفية الدنيوية ساهمت في إعادة تشكيل مفهوم الهوية في العالم ما بعد الكولونيالي، وخرجت بفهم جديد للعلاقة بين كل من النص والناقد وسياقاتهما المادية. كما أنّ إدوارد سعيد تبنى قضية بلده فلسطين، وقد أسمع جمهور العالم بها كما لم يسبقه إلى ذلك مثقف آخر. يعرّفه تلميذه تمثي برينن في كتابه الموسوم ب"ادوارد سعيد: أماكن الفكر" بقوله "ولد سعيد في العام (1935) لأب يعمل في التجارة، وحُرم هو وعائلته من البيت والوطن بواسطة الانتداب البريطاني في العام (1948) والعمليات العسكرية التي تبعته. كان تلميذا لامعا وإن كان يفتقد إلى الانتظام، وكان مولعا بآلة البيانو منذ الصغر، وترعرع في صباه في القاهرة، ووصل إلى الولايات المتحدة، وهناك التحق فيما بعد بجامعة برنستن في المرحلة الجامعية الأولى ثم بجامعة هارفرد في مرحلة الدكتوراه، قبل الالتحاق بهيئة التدريس في جامعة كولومبيا في العام (1963)، حيث بقي معظم بقية حياته. وبحلول العام(1975) كانت سيرته المهنية في طريقها الى الأسطورية، غذ اخذت تنهال عليه الجوائز من العالم الأكاديمي على شكل محاضرات مدعومة، وشهادات فخرية، بعد أن افتتح حقولا للبحث غيّرت ملامح الحياة الجامعية"(برنن، ت، 2022، 25)

لكن المنعطف الحاسم والمهم في تغيير حياة إ.سعيد كان اندلاع الحرب العربية الاسرائيلية العام (1967)، وتلقيها السلبي في الأوساط الغربية والأمريكية، جعله يستوعب معنى أن ينتمي

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

مثقف في وضعه ومكانته الأكاديمية المرموقة، إلى أصل فلسطيني عربي. لذلك فإن استيعابه لدرس المنفى دفع به إلى أن يتكبّد عناء الاندماج في أوساط ثقافية تتغاير مع ثقافته الأصلية وقد تتعارض معها في بعض الأحيان. فاعترافه بهويته الفلسطينية ألفت إليه الأنظار وجعله محط اتهامات وتهديدات وتشويهات لسمعته وعملية تصدي واسعة لأعماله، خاصة بعد صدور كتابه " الاستشراق" عام (1978) الذي وضعه، من جهة في مواجهة مع المثقفين والمستشرقين الغربيين. ومن جهة أخرى، في تحد كبير مع وضعه الهوياتي المفارق، ووجد نفسه يناضل على جهات متعددة ثقافية وسياسية وإنسانية. وهنا بالضبط، تأتي أهمية هذا التحول في حياته في أنّه لأول وهلة بدأ ببناء نفسه كفلسطيني، وقد اجتهد في مساره الفكري من أجل تكوين وعي نقدي دنيوي إزاء قضيته البَنَوية وإزاء قضايا إنسانية يسمح لنفسه أن يتبناها كلّما استدعى الأمر ذلك. وقد اصطحب هذا الوعي حياته المهنية ومسيرته الفكرية، حيث أن تجربته كفلسطيني منفي ومقتلع، انعكست في أعماله النقدية، وتجسّد انخراطه في العالم الدنيوي واندماجه مع قضايا إنسانية ملحة وعاجلة.

إنّ الشعار اليهودي "شعب بلا أرض (اليهود) لأرض بلا شعب (فلسطين)" ليصرّح برؤية استعمارية إمبريالية إقصائية واضحة تنظر إلى الفلسطينيين كسكان أصليين نظرة دونية وتجعل من وجودهم غير ضروري، وهو ما يسمح باقتلاعهم وتهجيرهم وقمعهم. وبناءً على ذلك، أمكن ملء الفراغ الذي يتركه الفلسطينيون بمن هم أحق بفلسطين كمقاطعة إمبراطورية قابلة للاستيطان والاستعمار بمسألة الهوية بالنسبة للفلسطينيين كانت دائما مقلقة ومغيظة، فقد تم إقصاؤهم من أرضهم وتجريدهم من أملاكهم، والنتيجة أنهم يعيشون حالة الشتات واللجوء عبر العالم. والحال هذه، فإنّ سعيد قد خضع لتحولات قاسية وحاسمة في مساره الفكري، ودخل في بحث طويل عن الهوية على جميع المستويات، النصية النقدية والواقعية السياسية. وكمثقف دنيوي كان دائم البحث عن البدائل الديمقراطية التي تخاطب الإنسانية وليس الهوية، فهو يعترف بحق الآخر في الوجود وتقرير المصير، يصرّح سعيد في كتابه "ما بعد السماء الأخيرة" "أن إبعاد الآخرين هو أمر مركزي في تشكيل الهوية.. إنّ الهوية مسألة دلالة، الإشارة التي تكتسب معناها من اختلافها عن الإشارات الأخرى. إنّ جوهر القضية الفلسطينية هي مشكلة تحقيق هذا الانبثاق المشحون والمضطرب للهوية. كيف للإنسان أن يخلق حدودا معترفا بها دون أن يلغي الآخر؟" (أشكروفت وأهلواليا، 2016، 187)

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

هذا ما يجعلنا ننتبه إلى أنّنا لا يمكن أن نفصل بسهولة بين جهود ادوارد سعيد النقدية ونضالاته السياسية، فتسييسه المبكّر كان له عميق الأثر على تكوينه المعرفي والنقدي، وجعل مسألة فلسطين تتردّد بشكل وسواسي في كتاباته، فقد نصّب نفسه متحدّثا باسم أبناء بلده المهمشين والمقصين، ف "بعد عشر سنوات من الحرب كتب ثلاثية الاستشراق (1978)، ومسألة فلسطين (1979)، وتغطية الاسلام (1981) والتي موقعت فلسطين كمركز لكل قضايا النصية والسلطة التي شغلته.. لا يمكن أن نعزل كتاباته حول فلسطين إلى نوع من الصحافة بعد ساعات العمل ولا أن نصرف النظر عن نظريته كمجرد نشاط مهني لناشط فلسطيني. ولكنّنا لا يمكن أن نفصل مسألة فلسطين عن تاريخ الإمبريالية الأوروبية .الحقيقة المعاصرة للمقاومة ما بعد الكولونيالية في مختلف المجتمعات. فهذه الأمور متصلة ومتواشجة مع بعضها بعض ضمن الاهتمام بالدنيوية." (أشكروفت وأهلواليا، 2016، 11-12)

في كتابه عن الأسلوب الأخير يصرّح إدوارد سعيد بتوجهه العلماني وبرؤيته المعرفية الدنيوية وإيمانه الجازم بأن الإنسان صانع ذاته وصانع أفكاره، وأنه والأمر كذلك، فهو يملك القدرة على نقدها وإعادة النظر فيها. ونجده يربط تشكل الذات بثلاث لحظات يصوغها في ثلاث إشكاليات، لحظة البداية تتجسد عبر الولادة التي تتأصل فيها بداية مسيرة معينة ضمن سياق تاريخي معين، ثم لحظة الاستمرارية المغايرة في الكثير من الأحيان لنقطة البداية الأولى، وبعدها لحظة الأسلوب المتأخّر. يقول: "لمجرّد كوننا كائنات واعية، فكلنا منشغلون باستمرار في التفكير في حياتنا، وساعون لإعطاء معنى لها، ذلك أن صنع الذات هو إحدى قواعد التاريخ، الذي هو في جوهره نتاج العمل البشري، بحسب ابن خلدون وفيكو، هذين الكبيرين بين مؤسسي علم التاريخ..لمّا كنت شخصا علمانيّا، فقد قضيت سنوات وأنا أدرس عملية صنع الذات تلك" (سعيد، إ، 2015، 33-34)

2- النقد الدنيوي:

كناقد أدبي وثقافي، عاش إدوارد سعيد مسيرته النقدية الفكرية رافضا مجمل أشكال السلطة والوصاية الفكرية، وبالتالي متمرّدا على كل المعتقدات والمقدسات التي تسلب الناقد والمثقف حريتهما الفكرية وحقهما في النقد والرفض. ووفقا لمنظوره النقدي، فإنّه لا تضامن قبل النقد، لذا "قد يتكئ سعيد على فلسطينيته ويدافع عادلا عن القضية الفلسطينية، غير أنّ دفاعه يبدأ بالموضوعية قبل أن يبدأ من فلسطين"(دراج فيصل، 1994، 31) النقد أولا ثم التضامن ثانيا، وقد كان مستعدا خلال مسيرته النقدية تحمل مسؤوليته النقدية بدفاعه

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

المستمر عن قيم ومبادئ إنسانية آمن بها وناضل من أجلها على رأسها الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية. "وبحلول عام (1976) يمكن رؤية سعيد على أنه في سياق عملية صياغة أفكاره المركزية عن المسؤولية النقدية. وهذه الأفكار هي شكوكه حيال "النقد الفني"، ورغبته في ربط الأدب والتاريخ والسياسة باستخدام النظرية لتحليل بنى السلطة والسيطرة الاجتماعية والسياسية. وقد أدت هذه الاهتمامات لصياغته لمفاهيمه الأساسية حول الدنيوية والنقد العلماني في العالم والنص والناقد." (كينيدي، ف، 2016، 37)

تطرّق إدوارد سعيد في مدخل "كتابه العالم والنص والناقد" في مقدمته التي وسمها ب"النقد الدنيوي" إلى أشكال الممارسة النقدية الأربعة، الأول هو النقد العملي الذي نجده في مراجعة الكتب وفي الصحافة الأدبية، والثاني هو التاريخ الأدبي الأكاديمي والثالث هو التقويم والتأويل من زاوية أدبية، وأما الشكل الرابع فهو النظرية الأدبية. ويؤكد سعيد في السياق نفسه أنه على غرار معظم نقاد عصره فقد تعامل مع أشكال النقد الأربعة، وأنه قد سعى في مسيرته النقدية أن يكوّن رؤيته النقدية الدنيوية الخاصة، وأن يطوّر شكلا من النقد أو الوعي النقدي الذي يتجاوز عبره الأشكال الأخرى كونها أصبحت، في مجملها، محض تخصصات نقدية تفرض سلطتها وقيودها الفكرية على الناقد وتعزله في دائرة نخبوية مغلقة، وبذلك تنأى به عن عالمه وعن واقعه الاجتماعي والسياسي وتجعله يتوه في عوالم النصية المجحفة في حق النص ذاته وفي حق النقد والناقد معا، عندما تجعله يتحاشى دوره في قول الحقيقة وفي كشف التداخل الحاصل بين السلطة والمعرفة. ووفقا لذلك ف "إنّ القضايا التي تبرز في كتابات سعيد وتميّزه عن منظري الخطاب الكولونيالي هي: مفهومه للنقد العلماني الدنيوي الذي يعني به نقدا متحررا من تقييدات التخصص الفكري، ودفاعه عما يسميه نضج الحياة الفكرية، والحاجة إلى المنفى الحقيقي أو الاستعماري بعيدا عن الوطن، وجهة نظره المتحمسة إلى أن يسترد العمل الفكري ارتباطاته بالوقائع السياسية للمجتمع الذي تحدث فيه." (أشكروفت وأهلواليا، 2016، 26)

يأتي موقف إدوارد سعيد النقدي على النقيض من النزعات النصية التي تجعل النصوص مطهرة معقمة من أي شوائب أو عوالق تاريخية أو دنيوية، وتتعامل معها بأسلوب باطني روحي. يؤكّد سعيد بأن موقفه يكمن في القول: " إنّ النصوص دنيوية، وهي أحداث، إلى حد ما، وهي فوق كل هذا وذاك، قسط من العالم الاجتماعي والحياة البشرية، وقسط بالتأكيد، من اللحظات التي احتلت مكانها فيها حتى لا يبدو عليها التنكر لذلك كلّه"(سعيد، إ، 2000، 8).

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

تنبني دنيوية النص عند إدوارد سعيد ونقده على عناصر مكوّنة تعبّر عن اشتراطاته المادية وارتباطه بالحياة التي تتأسس عبرها. وقد أتى على ذكرها في نصه المفتاحي هذا، وهي حدثية النص التاريخية، وانتماؤه إلى وقائع وجودية ظرفية اجتماعية سياسية وثقافية تتعلق بالقوة والسلطة، وأنّه صنيعة الارادة البشرية، وبناء على ذلك، يقترح أن إدوارد سعيد أن يكون النص بحدثيته وتاريخيته ووقائعه وبشريته مثار اهتمام النقد والوعي النقدي.

ومن المؤكد أن النقد الإدواردي في اهتمامه بحياة النص وتاريخيته جاء معارضا للنقد كما جسدته النزعات النصية، شكلانية كانت أو بنيوية أو ما بعد بنيوية أو تفكيكية، حيث يصنّفه سعيد ضمن ما أطلق عليه "النقد الديني"، وكان قد وسم به عنوان خاتمة كتابه "العالم والنص والناقد" تحدّث فيه سعيد عن تأثير الخطاب الديني على الخطاب الدنيوي وعن عودة الديني بقوة، وبالدرجة الأولى، ضمن مضمار إنتاج النصوص الأدبية، أين أصبح الدين طاغيا على الممارسات النقدية، بل وأصبح النقد طقسا من الطقوس الدينية تحاكي فيه وظيفة الناقد في برجه العاجي، وظيفة القس في كنيسته، في إضفاء مشاعر الاستكانة والخضوع "ولذلك فالدين يزوّدنا، كالثقافة، بنظم للسلطة وبمعايير للطقوس الدينية من تلك التي تخلص بشكل منتظم إلى فرض الخنوع أو إلى اكتساب الأشياع" (سعيد، إ، 2000، 352).

ويوضّح فكرته عبر الإحالة إلى ما يؤكّدها من دوغمائيات ووثوقيات عمياء هي في عالم الوقائع الدنيوية أقرب إلى المقدسات التي تمارس سلطانها وجبروتها على العقل البشري منها إلى مجرد أفكار بشرية قابلة للفهم والاستيعاب والنقد والرفض، يقول" إنّ تلك التعميمات الضخمة الزائدة عن المعقول من مثل الشرق أو الاسلام أو الشيوعية أو الإرهاب تلعب دورا متزايدا جدا في صبغ الآخر بالصبغة اللاهوتية المانوية المعاصرة، وأنّ هذا التزايد لدلالة عن مدى قوة التأثير الذي أثره الخطاب الديني عن ذلك الخطاب المتعلق بالعالم التاريخي الدنيوي" (سعيد، إ، 2000، 353).

وبالتالي، يطرح سعيد في كتابه إشكالية الفصل بين الدين والدنيا في الممارسة النقدية ويعالجها ضمن حقل النقد الأدبي وحقل العلوم الإنسانية بصفة عامة، وفقا لتحليلاته العقلانية التاريخانية التي لا تنتصر للتاريخ وللعالم الدنيوي فحسب، بل تعارض كل أشكال التطرف والظلم والتعصب والإقصاء التي تعرقل في كل مرة مسارات الأنسنة والسلم في المجتمع الإنساني . يطرح سعيد تساؤلا مفصليا يعتبره من أخطر الأسئلة، وهو يختم كتابه، أراد أن يتطلع به إلى ممارسة نقدية إنسانية عادلة وفقا لرؤيته الدنيوية الخاصة: " كيف يمكن

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

للخطاب النقدي أن يستعيد وضعه القديم كمشروع جماعي دنيوي حقيقي؟" (سعيد، إ، 2000، 355)، سؤال يراه سعيد جدير وحقيق بالطرح، يأمل من طرحه أن يستعيد النقد وضعه الطبيعي البشري ويتخلص مرة أخرى من أوثانه وآلهته التي تفشل دائما، ويتحرر فيها الناقد من أنظمة قرابته وانتماءاته التي تسيطر على زمام نقده وتوجهه. وبالتالي آن للممارسة النقدية أن تصبح مشروطة بظروفها الدنيوية وآن للناقد أن يتخذ موقفا دنيويا من نصوصه وأن يمتلك "الاحساس بالتاريخ وبالإنتاج البشري، علاوة على شيء من الشكوكية الصحية حيال مختلف أنواع الأوثان الرسمية التي تحظى بالتوقير من الثقافة والنظام" (سعيد، إ، 2000، 352)

بيت القصيد هنا، أن سعيد يضع التاريخ كصنيعة لإرادة بشرية خالصة في قبالة المقدس فعلا بما هو صنع الهي محض، أو ما هو مقدس في اعتقاد البشر ويبقى بذلك صنيعتهم. فالتاريخ من صنع ارادة البشر رجالا ونساء متاح لهم أن يعرفوه في حدود إمكانات عقولهم البشرية. على النقيض من المقدس فعلا الذي يخرج عن ارادتهم كبشر ويتعالى على عقولهم. ذلك أنّ ادراك التاريخ من خلال النصوص والخطابات الثقافية، يتم على مستوى أرضي جغرافي عالمي دنيوي يشغل حيّزا ماديا في الواقع، ويخضع بالتالي للتسييس والتدنيس فهو مرتهن بالسلطة الزمانية المؤسساتية الدنيويةّ. هذا هو الدرس النوعي الذي يضيفه سعيد إلى حقل النقد والإنسانيات وأن استيعاب درس سعيد لا يكون عن طريق التفسيرات العقلانية الموروثة المتفق حولها والتشبث بالتقليدي والجماعي والمألوف، بل بتفعيل نقاشات دنيوية تمتح من معين وعي نقدي مقاوم وعادل "ترتكز الإنسانية على قوة الفرد الإنساني والحدس الذاتي أكثر من الأفكار المرحب بها المرجعية المستحسنة. يجب أن تقرأ النصوص كنصوص نحن من أنتجها وتعيش في مملكة تاريخية في كل أصناف ما أسميته بالطرق الدنيوية، لكن لا يعني هذا إقصاء السلطة، بل على العكس فقد حاولت أن أبين تملق وتدخل السلطة في أكثر الدراسات عمقا" (سعيد، إ، 2011، 233)

اذًا، يتحدّد موقف سعيد النقدي وتتوضح رؤيته النقدية الدنيوية من خلال موقفه الواضح والصارم من دنيوية النصوص واندراجها في شبكة من الظروف والأحداث الاجتماعية والثقافية والسياسية. وبالتالي، فإن الدنيوية أو النقد الدنيوي أو بمرادفهما العلمانية: " تعني من بين ما تعني اندراج المرء في العصور والأزمنة والتاريخ، لا في عالم اللاهوت أو نظام النظرية اللاهوتي المتعالي الذي ينجذب إليه العديد من مثقفي اليسار الآن" (صالح، ف، 2009،

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

224)ويعني بها ما يعني أن النص كامن في العالم، وأن تأويله أيضا كامن في العالم ونابع منه بالضرورة منه، وهو ما يتناسب مع رؤية وجودية مادية نسبية للجهد البشري في إنتاج النصوص الثقافية.

في كتابه " الأنسنية والنقد الديمقراطي" يحيل إدوارد سعيد بشكل طريف إلى استلهامه لفكرة الدنيوية أيضا من انطونيو غرامشي المفكر الايطالي، حيث يقول: " النقطة الثانية سوف أستمدها من غرامشي، كتب رسالة، العام(1921) على ما أعتقده، قال فيها إنّ انجاز جيله الأعظم كان في مشاركتهم، تحت رعاية كروتشي جزئيا، في غزو المجتمع المدني، في انتزاعه من قبضة الأفكار الأسطورية بشتى أشكالها. أطلق على ذلك "الغزو العلماني للمجتمع المدني". أثار اهتمامي تشديده على أنّ الغزو لا ينتهي أبدا. عليك دائما استعادة ملكية ما تستطيع من أمور، وإلاّ فسيتم انتزاعها منك.." (سعيد، إ، 2008، 246)

مكمن الطرافة هنا، هو في النضال الدائم والمستمر في أن يستعيد النقد سيرته الأولى وينتزع مساحته من الخطابات الدينية، وفقا للمنظور الإدواردي، كما كان، نابعا من صميم الروح الإنسانية الدنيوية، جريئا وشجاعا، ينطلق من أرضية النص وتاريخيته، لا من نزعات جمالية تنظيرية لا تمت بصلة إلى حيوية النص وتاريخيته يغيب عنها الوعي النقدي ويطغى عليها النقد الديني .

3- الوعي النقدي:

يتعلق الأمر في هذا السياق بعلاقة النقد بالوعي وعلاقته بالممارسة الإنسانية والمسؤولية الأخلاقية على جميع الأصعدة الإنسانية تنظيرا وتعليما وممارسة في جميع الحقول المعرفية والثقافية والسياسية خاصة ضمن سياقات اجتماعية وثقافية وأكاديمية تكون محمومة بالحماسة الدينية وتتغلغل فيها سلطات الإجماع والأرثوذوكسية بعمق وبقوة. لذا يتنطع سعيد مسؤوليته وصلاحياته كمدرّس ومشتغل في حقل الإنسانيات، وقد اشتغل مطوّلا على تكوين وتطوير وعي نقدي دنيوي عادل إزاء القضايا الإنسانية، على تعددها واختلافها، ضمن مهنة المثقف مدرّسا في الحقل الأكاديمي، فعليه أن يعي تمام الوعي مسؤولياته وحدوده وهو مطالب بأن لا يبقى سجين تخصصه الأكاديمي وإنّما عليه أن يفعّل وعيه النقدي ودنيويته معا بأن ينفتح على العالم الأوسع" فثمة في اعتقادي شيء بالغ الأهمية يمكن للمرء أن يدرّسه في الوقت الذي يدرّس فيه حقلا معينا. ذلك الشيء هو حس الوعي النقدي، حس التشكك وألاّ تأخذ ما يقدّم إليك بصورة غير نقدية. فأنت تحاول أن تعطيهم المادة ليس على أنّها لا تُساءل أو على أنها

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

سلطوية بصورة ما، وإنّما تعمل بدلا من ذلك وفي الوقت ذاته على رعاية ما يبدو مخالفا لذلك ومناقضا له، أي تعمل على رعاية نوع من التشكك الصحي بما تقوله السلطات. ومن هنا يبدو لي أن اللغة الواضحة والمفارقة الساخرة هامتان أساسيتان، بدلا من اللجوء إلى التعميم الفظ أو الرطانة أو أي شيء يمكن للمرء أن يختبئ وراءه تجنبا لاتخاذ قرار أو موقف، وهذا ما يمكن للمرء أن يدرّسه في غرفة الصف." (سعيد، إ، 2004، 329)

وإذًا، فإن الوعي النقدي بما هو نوع من التشكك الصحي إزاء كل ما يمت بصلة إلى الجهد البشري الذي يدأب على إنتاج النصوص وعلاقتها بالمؤسسة والسلطة، هو في الحقيقة استيعاب وفهم عميق لفكرة الترابط والتلاحم العضوي بين كل الأنشطة والممارسات الإنسانية. وبعبارة أخرى هناك صلة وثيقة بين الأفكار والمؤسسات وبين المعرفة والسلطة ولذا، فهو سبيل للتحرر من كل ما ينغص على الإنسان إنسانيته . ينطلق سعيد من تجربته الأكاديمية الخاصة ومن تجربته كمثقف مارس صلاحياته ومهنته داخل أسوار الجامعة وخارجها، عندما وصل إلى مرحلة من الوعي النقدي اقتحم فيها المجال العام وأمكن له أن يشارك في التخفيف من معاناة الإنسانية، "ولذلك فإنّ دور المثقف ليس أن يعزّز السلطة، بل أن يفهمها، ويفسّرها، ويسائلها: وهذه طبعة أخرى من فكرة النطق بالحقيقة في وجه القوة" (سعيد، إ، 2004، 330). فإذا كان ثمة من شيء على المثقف أن يحفظه ويصونه ضمن شخصيته النقدية والدنيوية، فهو وعيه النقدي، أن يحفظه من الذوبان في انتماءات ثقافية معينة أو منظومات أو تخصصات أو اهتمامات أو تواريخ وألّا يستسلم لسلطتها فهي جميعها خاضعة لاشتراطات وظروف دنيوية

ويؤكد سعيد في مقالة "النقد الدنيوي" أن مؤلفه "العالم والنص والناقد"، في مجمله، قد كرّسه للإجابة عن سؤال ناظم يعتبره من الأهمية بمكان ضمن مشروعه النقدي: "ما معنى أن يكون لدى المرء وعي نقدي إذا كان موقف المفكر، موقفا دنيويا وإذا كان على الهوية الاجتماعية للمفكر، جراء ذلك النزوع الدنيوي نفسه، أن تتضمن شيئا أكثر من تعزيز مظاهر تلك الثقافة التي لا تأمر أعضاءها إلا بالتوكيد والامتثال وحسب؟ "(سعيد، إ، 2000، 29-30)

يجيب عن سؤاله هذا ويجدّد في كل مرة موقفه من النقد ومن الوعي النقدي في صيغته المعاصرة: "موقفي، هو أن الوعي النقدي يقف بين إغراءين متمثلين بقوتين عاتيتين مترابطتين تستقطبان الاهتمام النقدي. فالأولى هي الثقافة التي يرتبط بها النقاد بالقرابة (بالولادة والانتماء القومي والمهنة)، والثانية هي الطريقة أو المنظومة التي يكتسبها النقاد من خلال

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

التقرب (بالقناعة الاجتماعية والسياسية، وبالظروف الاقتصادية والتاريخية، وبالجهد الشخصي والارادة الحديدية). (سعيد، إ، 2000، 30).

يوضّح سعيد أن الوعي النقدي، قد تأسّس أولا، لأن هناك تفاعلا بين الفرد وعلاقات القرابة والبنوة، التي هي نتاج الروابط الطبيعية كالانتماء إلى مجتمع ما وثقافة ما. هذا النمط من العلاقة غير منفتح على عالمه، وبالتالي فإن عيوبه يمكن أن تتجسد في التمركز حل الذات، وادّعاء النقاء الصفاء العرقي والثقافي وتبجيل الثقافة الخاصة. بعبارة أخرى، فهو يشدّد على الحذر من حالة حماسية بين المثقف وثقافته، لأنّها بالذات ما يطمس أي محاولة لرؤية ما وراء الثقافة الأم. وبالتالي، فإن رؤى المثقف حول العالم ستكون محدودة بضيق وعيه المستعبد المتولّد من نوع من التفكير البنيوي وانغلاق أفقه الدنيوي. لكن، هذا الأخير لم يعد صالحا في عالمنا المعاصر والحديث، بحكم أنّ نظام علاقاته متداخل للغاية، متشابك وهجين، حيث أصبح من الصعب على المثقف أن يحصر تفكيره وتأويله في طريقة تفكير وحيدة. ولذا، فإن مثل هذا الأسلوب من التفكير البنيوي سيتحول إلى اسلوب تبني جديد يشبه التغيرات الجديدة الأكثر تعقيدا وهجنة في العالم اليوم.

4- النقد الدنيوي والاحتر افية:

لنا أن نعدّ سعيد من النقاد المعاصرين العصيين على التصنيف، وواحدا من الذين يتبنّون الهواية في مجال النقد والإنسانيات بدل التخصص والاحترافية اللذان لا يرتاح إليهما سعيد، بل ويأسف للمنخرطين فيهما عندما يستكينون لإملاءاتهما وتضييقاتهما وقيودهما. ووفقا لذلك، فإنّ التزام سعيد بالرؤية الدنيوية جعله حريصا على الانفتاح على مجمل التخصصات الإنسانية إيمانا منه بتكاملها الخلاق، حيث يتكامل النظري مع التطبيقي والجمالي والفني مع الاجتماعي والسياسي. ونجده، في هذا السياق، يتّخذ من مجموعة من النقاد المعاصرين نماذج للإعجاب والاحتذاء في نزوعهم إلى الهواية وتعزيز دنيويتهم "الدنيوية الأعظم والمثيرة للإعجاب أكثر من غيرها، بالنسبة إلي، هي دنيوية عظماء الأدب المقارن، مثل أورباخ وسبيتزر من الجيل السابق، أو منظري مدرسة فرانكفورت النقدية، مثل هوركهايمر وأدورنو، وخصوصا أدورنو الذي تمتع بمقدرة الحديث عن أي شي، عن كل شيء. كانت هنالك مفردات الاكتراث بالثقافة السامية، بالثقافة العامة..الخ. لقد كانوا، بالطبع، مقيّدين بسبب تركيزهم على العرق، لكنهم بشكل عام حطّموا قيود المجال العلمي ذاك" (سعيد، إ، 2008، 164-165)

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

اذًا، يكون حظ المثقف من الدنيوية حظه من الهواية، فكلما اتسعت دائرة انشغالات المثقف واهتماماته، كلما كان انخراطه في المجال العام وفي القضايا الدنيوية أوفر وأوسع، وكلما أدى مهنته كمثقف على أكمل وجه بأن يفكّر خارج النسق ويسير عكس التيار "من المهم على نحو استثنائي أن نطوّر حسّا ليس بمهنة المختص وإنّما بما أدعوه مهنة المثقف"(سعيد، إ، 2004 329)

كواحد من الذين ساهموا في التأسيس لحقل النقد الثقافي والدراسات الثقافية، سعى سعيد إلى الانتقال من ضيق حقل الأدب والنقد الأدبي إلى سعة الثقافة والنقد الثقافي، وأن النص الأدبي إنتاج ثقافي مشروط بتاريخيته وظروفه الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وفقا للمبدأ القائل أن في الأدب شيء آخر غير الأدبية وأنه آن الآوان لأن يتم التحول من النص وجمالياته إلى الخطاب وتشكيلاته وتحولاته النسقية وبالتالي ضرورة تأسيس وعي نقدي يحكم الممارسة النقدية في دراسة الخطابات الثقافية يكشف ما تستبطنه من أنساق ثقافية مضمرة ويفكك آليات اشتغالها في فرض أساليب السيطرة والهيمنة داخل المجتمعات وأن يكف الناقد عن فعل التعمية الثقافية وعن تبرير وتمرير كل ما يفعله النص من انتهاكات لاأخلاقية ولاإنسانية تحت عباءة الأدبية والجمالية والتخصص والاحترافية . ولذا فإنّ فضيلة سعيد في سياق تأسيس الدراسات الثقافة هو اعتناؤه الشديد بمفهوم الثقافة وتركيزه الأشد على دور المثقف ومهنته الإنسانية ومسؤولياته الأخلاقية.

فالمثقف الإدواردي الحقيقي هو مثقف علماني دنيوي، منخرط دوما في القضايا السياسية يمتلك من الوعي النقدي ما يجعله يحافظ على مسافة بينه وبين السلطة، أيا كان مصدرها، وميزته الأساسية هي الحرص على تقديم البدائل الإنسانية والدنيوية، ويطالب دوما بإبقاء الصلة مع عالم الأحداث والمستجدات داخل المجتمعات. لذا، نجد إدوارد سعيد يرفض صنمية المناهج والنظريات لأن طغيانها ينذر بالإنهاك والعزاء والإحباط، كما يقول سعيد، نظريا وتطبيقيا معا، ينبئ بمرحلة من شلل التفكير والتردد ونشدان الديني والمقدس، وأنّ البديل هو رؤية نقدية دنيوية.

5- خاتمة

باختصار، فإنّ الدنيوية تشكّل الناظم المنهجي في فكر إدوارد سعيد، وحجر الزاوية في مشروعه النقدي. ولنا أن نعتبرها إطارا مرجعيا في فهم نظريته الثقافية يروم من خلاله ادراج الجهود الإنسانية الإبداعية ضمن سياقاتها التاريخية، والاجتماعية والثقافية والسياسية، اعتقادا

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

منه بالترابط العضوي بين النشاطات والحقول الإنسانية المختلفة. هذا الاعتقاد نابع من صميم الوعي النقدي كقيمة نقدية صاغها سعيد وطوّرها، توضّح أهمية الحس العالمي بالانتماء، وتنمّي لدى المثقف الناقد شكّا صحيا يخلق مسافة بينه وبين روابطه الطبيعية، وتجعله يدرك أهمية المعرفة التاريخية، والسياقات الدنيوية، وروح القدرة التحليلية من أجل تقديم نقد دنيوي هاوي، يرفع من الاندماج الثقافي إلى كونه المبدأ العام الذي يحرّر الناقد من تضييقيات وقيود انتماءاته الثقافية، وتخصصاته المعرفية إلى سعة الدنيوية ورحابة الإنسانية.

***

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X Prefix: 10.46315

**- المصادروالمراجع

1- المصادر:

-سعيد، إدوارد. الآلهة التي تفشل دائما. تر: حسام الدين خضور. دمشق-القاهرة: دار الكتاب العربي.

-سعيد، إدوارد. (2005). الأنسنية والنقد الديمقراطي. تر: فواز طرابلسي. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

-سعيد، إدوارد. (2008). السلطة والسياسة والثقافة. تر: نائلة قلقيلي حجازي. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

-سعيد، إدوارد. (2000). العالم والنص والناقد. تر: عبد الكريم محفوظ. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

-سعيد، إدوارد. (2004). تأملات حول المنفى. تر: ثائر ديب. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

-سعيد، إدوارد. (2015). عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار. تر: فواز طرابلسي. (الطبعة الأولى). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

2- المراجع:

-أشكروفت، ب .وأهلواليا، ب . (2016) . إدوارد سعيد سيرة فكرية. (الطبعة الأولى). البصرة: وراقون للنشر والتوزيع.

-برنن، تمثي . (2022) . إدوارد سعيد أماكن الفكر. تر: محمد عصفور. (الطبعة الأولى). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

-شاهين، محمد. (2005). إدوارد سعيد رواية للأجيال. (الطبعة الاولى). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

-كلفارون، إيف. (2017). ادوارد سعيد الانتفاضة الثقافية. تر: محمد الجرطي. (الطبعة الأولى). دمشق: صفحات للدراسات والنشر والتوزي.